المحور الثاني: الحركات السياسية والاجتماعية في الخلافة العباسية.

المحاضرة 4: الحركات السياسية:

هدف المحاضرة:التطرق الى ابرز الحركات السياسية في العهد العباسي وتاثيراتها المختلفة.

إنّ سقوط الدولة الأموية المتهالكة وقيام العباسية الفتية والقوية لا يعني نهاية الاندفاع السياسي والاجتماعي فقد ازدادت الاضطرابات في مختلف المجالات ومنها من فاق ما شهدناه في العصر الأموي.

أولا: حركات الانشقاق العباسي:

حركة عبد الله بن علي العباسي: عم الخليفة المنصور الذي خرج عليه في الشام فقد ثار على خلافة المنصور وكان قائدا للجيش المتوجه إلى بيزنطة وبوفاة السفاح دعا إلى نفسه وخلع بيعة المنصور فبعث إليه المنصور أبا مسلم الخراساني لمحاربته فهزمه ففر إلى البصرة واختفى عند أحد أقاربه حتى قبض عليه المنصور فسجنه إلى وفاته سنة (147هـ/764م).

ثانيا: حركات المقاومة العلوية:

تعود جذور الحركات السياسية العلوية إلى العهد الأموي حيث انقسموا إلى حركات متطرفة ومعتدلة مثّل المتطرفة الكيسانية الذين ادّعوا اتباع مُحَمَّد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب ثم ابنه عبد الله أبو هاشم وعرفوا بالهاشمية وانتهى أمرهم بالتحالف مع العباسيين، والمعتدلة مثّلها الزيدية أتباع زيد (ت 122هـ/740م) بن علي بن الحسين وهم أعدل طوائف الشيعة، وقد خفّت هذه الحركات وغيرها اثناء الدعوة العباسية لتحالفهم معها ضد الأمويين وتشتت زعاماتهم ولكن بنجاح العباسيين في إقامة دولتهم خاب أمل العلويين وعادوا بقوة للمطالبة بحقهم في الخلافة بكل السبل الممكنة فكانت عدة ثورات أبرزها:

1- حركة مُحَمَّد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب الملقب بالنفس الزكية: حركة سياسية بدأت سنة (145هـ/762م) بالمدينة المنورة وكانت من أخطر الحركات العلوية على العباسيين على يد مُحَمَّد النفس الزكية الذي سعى إلى الخلافة منذ عهد الدعوة العباسية

ضد بني أمية، وبقيام الخلافة للعباسيين دون العلويين لم يبايع السفاح ولا المنصور واستتر عنهم خوفا منهم فقبض على أهل بيته فقتلوا فخرج للناس وثار على العباسيين، فسيطر على المدينة المنورة ومكة والبصرة وجزء من بلاد فارس فحذره المنصور من مسعاه فرفض الرجوع عن ثورته فبعث إليه جيشا ضخما تمكن من هزمه وقتله فانتهت حركته.

2- حركة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن: وهو أخو النفس الزكية ثار بالبصرة سنة (145هـ/762م) سعت حركته كذلك إلى الخلافة وانتهت في نفس السنة بمقتل قائدها على يد العباسيين.

3- حركة الحسين بن علي العابد بن الحسن بن الحسن بن علي: حركة علوية خرجت في المدينة ومكة، كانت تريد الخلافة، استطاع الخليفة الهادي القضاء عليها في معركة فخ الشهيرة (قرب مكة) عام (169هـ/785م) التي تشتت فيها أكثر البيت العلوي أفلت من هذه المعركة إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن فوصل إلى المغرب الأقصى وأسس دولة الأدارسة.

4- حركة يحي بن عبد الله بن الحسن بن الحسن سنة (176هـ/793م): وكانت ببلاد الديلم والذي أرهق الخلافة فترة من الزمن لكثرت جموعه واشتداد شوكته حتى احتالوا عليه بالأمان والصلح فألقي عليه القبض وسجن إلى غاية وفاته.

ثالثا: حركات الزنادقة: وهي حركات سياسية ودينية سعت إلى القضاء على الاسلام والكيانات السلامية وتصادفت مع الدولة العباسية أبرزها:

1- حركة سنباذ المجوسي: حركة سياسية ودينية قادها سنباذ والذي ظهر بعد قتل أبي مسلم الخراسانيّ سنة (137هـ/755م) على يد الخليفة المنصور، فطلب ثأره وخرج على الخلافة بنواحي أصفهان وتسمى بـ"فيروز أصبهبذ"، وكان مجوسيا وكذلك أتباعه، وقال بأنّ أبا مسلم الخراساني لم يمت وبأنّ أمر الإسلام إلى إدبار، ووعد أتباعه بهدم الكعبة، وتبعه خلق كثير جدا، فقد كان عدد من قتل معه على يد جند الخليفة المنصور حوالي ستين ألف ولم تزد أيامه عن سبعين يوما فكفى الله المسلمين والعباسيين شره.

2-حركة إسحاق ترك: (137-140هـ/755-757م) حركة سياسية ودينية ظهرت بخراسان بعد قتل أبي مسلم ايضا وتسمى زعيمها بذلك لدخوله بلاد الترك، ويسميهم الأديب ابن النديم المسلمية نسبة إلى أبي مسلم الخراساني، قالوا بإمامة أبي مسلم وبنبوته وبأنّه لم يمت وسيعود ويقيم الدين وينقذ الناس من الظلم، انتهى أمرها في خلافة المتوكل (232-247هـ/847-861م).

3- حركة الراوندية: حركة سياسية ودينية ظهرت سنة (141هـ/758م) وقد خرجت على الخليفة المنصور بمدينة الهاشمية، وهم من أتباعه من أهل خراسان يقولون بتناسخ الأرواح، ويزعمون أنّ ربّهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور، وجعلوا يطوفون بقصره ويقولون: "هذا قصر ربّنا"، فقد قالوا بألوهية أبي جعفر المنصور الذي لم يقرهم على هذا فقاتلوه، فمكّنه الله منهم وقتلهم عن آخرهم، وفي قولهم بألوهية المنصور ثمّ مقاتلته تناقض صارخ يحتاج إلى كثير من البحث لإظهار حقيقة مثل هذه المذاهب ودوافعها.

4- حركة أستاذ سيس: (150هـ/767م) حركة سياسية ودينية ويسمي بعض المؤرخين زعيمها الأمير أستاذ سيس، وهو قائد فارسي ظهر بخراسان، ودعا إلى أفكار كفرية منها ادّعاء النبوّة، خرج معه خلق كثير جدا قاربوا ثلاثمائة ألف مقاتل ناصروه على الخلافة ومحاربة العباسيين وأظهروا الفسوق، وقتلوا الكثير من المسلمين، قبل أن يتمكن منهم العباسيون في نفس السنة ويقتل زعيمها وذلك في خلافة المنصور.

5- حركة المقنع الخراساني: (159-163هـ/776-780م)، حركة سياسية ودينية ادّعى زعيمها الألوهية، وإحياء الموتى وعلم الغيب، والنبوة وقال بتناسخ الأرواح وقصد بذلك نفسه، بأنّ روح الله حلّت في الأنبياء ثمّ في بعض آل علي τ، وأبي مسلم الخراسانيّ ثمّ حلّت فيه، وقال بأنّ أبا مسلم الخراسانيّ أفضل من النبيّ ﷺ،فاتّبعهأناسكثيرون فكانوا يسجدون له، وكان لا يسفر عن وجهه لأصحابه، فلذلك قيل له المقنع، وكان يتعاطى السحر يخيّل به على أتباعهفكان يخيّل لهم قمرا ثانيا، يقول في هذا الشاعر والفيلسوف أبو العلاء المعريّ (ت449هـ/1057م) في إحدى قصائده:

أَفِقْ إِنَّمَا الْبَدْرُ الْمُعَمَّمُ رَأْسُهُ ضَلالٌ وَغَيٌّ مِثْلُ بَدْرِ الْمُقَنَّعِ

فاستغوى بكل ذلك أهل العقول الضعيفة واستمالهم إلى مقالته، فبعث الخليفة المهدي في طلبه ففر إلى ما وراء النهر وتحصن في قلاعها، وجمع فيها من الطعام وبثّ الدعاة في الناس، فألحّ الخليفة

المهدي في طلبه فحوصر فلما اشتد الحصار عليه وأيقن بالهلاك جمع نساءه وأهله كلّهم وسقاهم السمّ فماتوا عن آخرهم وأحرق كل من في القلعة من دواب وثياب وطعام، وألقى نفسه في النار لئلا يلقى جسده العباسيون، واقتحم العسكر القلعة فوجدوها خالية، وكان ذلك مما زاد في افتتان من بقي من أصحابه بما وراء النهر، فقد كان وعد أتباعه أنّ روحه ستتحول، وأنّه يعود إليهم بعد كذا سنة، ويملّكهم الأرض، فهم ينتظرونه ويسمّون المبيضة وهم بما وراء النهر.

6- حركة بابك الخرمي: حركة سياسية ودينية كانت ما بين سنتي (201-222هـ/817-837م) قادها بابك الخرمي الذي خرج على العباسيين وعلى الإسلام وقال بالتناسخ وبأنّه إله، وبإباحة المحارم على دين مزدك (ت529م)، وكان ابتداء خروجه سنة (201هـ/817م) في خلافة المأمون، فحارب وغلب على أذربيجان وما جاورها، وأراد أن يقيم عقيدة المجوس، فهزم جيوش الخلافة العباسية في عدة وقائع حتى ارعب الناس رعبا شديدا واحتوى إليه القطاع وأصحاب الفتن وتكاثفت جموعه حتى بلغ فرسانه عشرين ألفا، سوى الرجالة وأخذ ينكّل بالناس، فكان أصحابه لا يدعون رجلا ولا امرأة ولا صبيّا ولا طفلا مسلما أو ذمّيّا إلّا قطّعوه وقتلوه، وكانوا يرتكبون الفاحشة بنساء الناس أمام أعينهم، وأحصي عدد القتلى بأيديهم فكانوا أكثر من مائتي ألف، واستمر شره فأنفق المأمون والمعتصم ما لا يحصى من الأموال في حربه، حتى ظفر به المعتصم سنة (222هـ/837م) فحاكمه وقتله.

7- حركة المازيار: حركة سياسية ودينية قادها مازيار بن قارن المجوسيّ الذي كان القائم بدين المجوس بطبرستان، وسمّاه الخليفة المأمون مُحَمَّد لما شارك في فتح بعض جبالها المنيعة مع العباسيين، وولّاه عليها مع دفع الخراج، ثمّ أقره عليها المعتصم، وظهر خروجه عن العباسيين في خلافة المعتصم سنة (224هـ/839م)، ومن اعتقاداته أنّه كان يمجد مزدك (ت529م)، وبابك وعموم المجوس، وحارب الخلافة العباسية وأهلك أهل طبرستان حتى قبض عليه الطاهريون(دولة مستقلة عن العباسيين سنأتي إليها لاحقا إن شاء الله تعالى) سنة (225هـ/840م) وأرسلوه إلى المعتصم فحاكمه ثم قتله.

8- حركة بهافريدوالبهافريدية: أو البهافريذيةوالسيسانيةالتي جمعت بين العمل السياسي والدينيوهم صنف من المجوسظهرت في نهاية الخلافة الاموية وسيطرة أبي مسلم الخراسانيّ على خراسان ونيسابور على يد بهافريد (ت132هـ/750م) (وورد بهافريذ وعند الخوارزميّ صاحب مفاتيح العلوم

آفريد بن فردردينانظهر بنيسابور، بدأ أمره بغيابه في الصين سبع سنين ثمّ رجع وادّعى أنّه كان في السماء وأنّ الله أوحى إليه، وأنزله إلى الأرض، فتبعه بعض الجهلة وأخبروا النّاس أنّهم رأوه ينزل من السماء، فصدّقه وتبعه كثير من المجوس، وتكهّن ودعا المجوس إلى مذهبه فاستجاب له خلق كثير،وكان ممّا ادّعاه مخالفته لعقيدة المجوس في كثير من الشرائع، فقد هذّب مذهبه المجوسي وتخلص من بعض الشركيات والخرافات وأضاف إليها بعض تعاليم الاسلام فغدا مع ضلالته أفضل من المجوس،فزعم أنّه يوحى إليه وأنّه فرضت عليه سبع صلوات، ووضع كتابا بالفارسية، وأمر أتباعه بالسجود لعين الشمس على ركبة واحدة واتخاذها قبلة حيثما اتجهت، ونهاهم عن شرب الخمور وأكل الميتة، ونهاهم عن نكاح الأمهات والبنات والأخوات وبنات الأخ، وإصلاح شؤون دنياهم، ولما انتشر خبره أرسل إليه قائد العباسيين أبو مسلم الخراساني من حاربه حتى قتله، وبفعل مزج بهافريد بين المجوسية وبعض تعاليم الإسلام موّه على الناس فكان أخطر على الإسلام والمسلمين وبني العباس وبالرغم من أنّ حركته كانت عند قيام العباسيين ولكن يذكر ابن النديم وبعض المؤرخين أنّ أفكاره بقيت واستمر أتباعه وهم البهافريدية في الإيمان به ومعاداة المجوس وقالوا بأنّه صعد إلى السماء وسيعود وينتقم من أعدائه.

رابعا– حركات الخوارج:

لم يجد الخوارج بالمشرق موطئ قدم ثابت طوال العهد الراشدي والأموي بالرغم من قوتهم وكثرتهم (الأزارقة مثلا) بفعل الجهد المحمود الذي بذله علي بن أبي طالب ثم الامويون (خاصة واليهم الحجاج بن يوسف) في محاربتهم وبالرغم من ضعف بني أمية في اخر عهدهم إلّا أنّ الخوارج انهزمت فلولهم المتبقية أمام آخر الخلفاء مروان مُحَمَّد الاموي وتشتتوا في الأمصار، منها المغرب وخراسان واليمن وعمان هذه الأخيرة التي أقاموا بها إمارة، ومع قيام الخلافة العباسية نظر إليها الخوارج نظرة عدائية لا تختلف عن نظرتهم للأمويين ولم تمض فترة طويلة حتى ثاروا عليهم في عدة مناطق كالجزيرة الفراتية (إقليم بين العراق وسوريا وتركيا) بقيادة بريكة بن حميد الشيباني وفي عمان التي استقروا بها منذ نهاية العصر الأموي واستطاعوا أن يجدوا بها أتباعا وشوكة لطبيعتها الجبلية والصحراوية ما مكنهم من النجاة من ضربات العباسيين المتوالية الساعية إلى إخراجهم منها (عمان) في عهد السفاح وظل الخوارج بالمنطقة اسميا فقط تحت سلطة العباسيين واشتدت ثوراتهم وكثرت أيضا في عهد هارون الرشيد خاصة بالموصل التي قصدها بنفسه سنة (180هـ/796م) لاجتثاثهم بنفسه وثاروا مجددا بقوة بالجزيرة الفراتية

حتى اجتهد الرشيد في قتالهم كحركة الوليد الشاري الذي ظهر سنة (177هـ/793م) ونهب الكثير من المدن ووصل إلى أذربيجان وأتعب الخلافة إلى سنة (189هـ/795م).

وقد خفّت حركاتهم بعد ذلك، ومن تحركاتهم في العصر العباسي الثاني مواجهتهم لجيوش الخلافة بالموصلسنة (283هـ/896م)، وكان قائدهم هو هارون الشاري الصفري، ولكنها كانت حركة ضعيفة سهل على الخلافة اقتلاعها بعد القبض على قائدها وصلبه.

خامسا–حركة القرامطة:

حركة سياسية ودينية منحرفة ظهرت في خلافة المعتمد على الله الذي لم يكد يلتقط أنفاسه من بعد ثورة الزنج حتى واجهته حركة أخطر من الأولى زعمت كذلك النسب إلى آل البيت، وكانت بداية ظهورها سنة (278هـ/891م)، وسموا بالقرامطة نسبة إلى رجل يقال له كرميتة ثم خفف فقالوا قرمط، وكان مذهبهم ظاهره الرفض وباطنه الكفر، وقد كانت حركة معقدة قوية النفوذ بدأت بداياتها من جنوب العراق ثم استفحل أمرها وتفاقم الحال بها وأكدرت عيش الخلفاء، بهزمها لجيوش الخلافة عدة مرات، وكادوا –القرامطة– أن يدخلوا بغداد سنة (315هـ/927م)، وعطّلوا مصالح الناس الدينية والدنيوية، كقطعهم طريق الحجيج والفتك بهم، فتوقف حج أهل العراق وغيرهم بسببهم عدة مرات، وآل بهم الأمر إلى أن دخلوا المسجد الحرام سنة (317هـ/929م)، في أيام الحج وسفكوا دماء الحجيج، فاستشهد خلق كثير، ثم قام قائدهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسين الجنابي المعروف بأبي طاهر القرمطي بقلع الحجر الأسود وأخذه معه، ولم يبطل الحج منذ كان الإسلام إلّا هذه السنة، وأعادوا الحجر سنة (339هـ/950)، واستمروا في مواجهة العباسيين وترهيب المسلمين حتى كانت نهاية أمرهم سنة (470هـ/1077م) على يد العباسيين بعد حروب طويلة أنهكتهم مع العبيديين والقبائل العربية في البحرين.

سادسا– حركة الزنج (256–270هـ/870–884م):

حركة سياسية عنيفة قادها رجل خرج بالبصرة سنة (256هـ/870م)، زعم انّه من آل البيت كذبا، والتف حوله خلق من الزنج الذين كانوا يعملون بالسباخ، ولهذا عرفت حركته بحركة الزنج وسمي هو بصاحب الزنج واسمه الحقيقي هو علي بن مُحَمَّد بن عبد الرحيم، وكذلك عرف باسم دعي آل علي وأيضا بالخبيث، وكان يدعي الكرامات فتبعه الجهلة من الطغام وطائفة من الرعاع العوام، وقد عاثت

هذه الحركة في العراق فسادا، من ذلك دخولهم البصرة سنة (257هـ/871م) وإبادتهم لأهلها فقد ذكر العلامة السيوطي أنّهم قتلوا في يوم واحد بها ثلاثمائة ألف، ولما أرهجوا البلاد وعجز القادة عن اجتثاثهم خرج إليهم الموفق أخو الخليفة المعتمد بالله (256-279هـ/870-892م) بنفسه في جيوش عظيمة، واجتهد في محاربتهم إلى أن مكّنه الله منهم سنة (270هـ/884م).

سابعا– حركة الباطنية الحشاشون:

وهي إحدى حركات الشيعة الأكثر تطرفا واجراما، ظهرت أفكارها منذ القرن (3هـ/9م) في عدة مناطق بالمشرق والدولة العبيدية بالمغرب ثم المشرق والحشاشون في قلعة ألاموت ببلاد فارس بقيادة الحسن الصباح الذي روج لفكرة الأمام المستور وأنّه نابه وينقل المعرفة عنه، وأنّ لكل نص معنى ظاهر ومعنى باطن وقد نظّم حركته تنظيما دقيقا ومحكما، على رأسها داعي الدعاة ونائب الامام المستور ويسمى في الشام شيخ الجبل والمرتبة الثانية كبار الدعاة والثالثة الدعاة والرابعة الرفاق والخامسة الضراوية أو الفدائيون وهم الفئة المسلحة المستعدة للقيام بالأعمال والتضحية في سبيل الدعوة والسادسة اللاصقون والسابعة المستجيبون وهم عامة الناس المؤيدون للدعوة وقد استعملت أسلوب العنف والاغتيال للنيل من أعدائها، واغتالت عدة قيادات بارزة أشهرهم الوزير السلجوقي نظام الملك (ت 485هـ/1092م)، والخليفتين المسترشد (512-529هـ/1118-1135م)، والراشد (529-530هـ/1135-1136م)، وكادوا يغتالون صلاح الدين الأيوبي وانتهى أمرهم على يد المغول سنة (655هـ/1257م).

ثامنا – حركة التمرد الأموي:

والتي تركزت بشكل خاص بالشام، لما كان لبني أمية من فضل بين الشاميين منذ عهد معاوية بن أبي سفيان τ، ولكن كانت حركات ضعيفة جمعت التشيع للأمويين والبغض للعباسيين من ناحية دينية، واختص بذلك العرب دون باقي الأعراق، وأشهر هذه الحركات حركة تميم اللخمي المشهور بالمبرقع سنة (227هـ/842م) بفلسطين بفعل ميوله للأمويين وبغضه لممارسات العباسيين والذي انضمت إليه قبائل كثيرة، وأرهق الخلافة العباسية وقال بأنّه سيعيد الخلافة الأموية ولكن اجتهد العباسيون في حربه حتى انفضّ عنه أصحابه وألقي عليه القبض سنة (228هـ/843م).

يظهر لنا من كل هذا الدولة العباسية بالرغم من قوتها وقوة عصبها إلّا أنّها عرفت حركات سياسية اصطبغت أغلبها بالصبغة العسكرية ساعية إلى القضاء عليهم وهذا راجع إلى عدم اعتبار العباسيين ممن سبقهم فكانت عبرتهم بأنفسهم والشقي من اعتبر بنفسه والسعيد من اعتبر بغيره.

العبر والعظات:

– الظلم والاضطهاد لا يقضي على المعارضة والتمرد بل يخمدها دون اجتثاث أفكارها فالحل في معرفة الأسباب المؤدية إلى المعارضة وحلها بالوسائل السلمية ما أمكن.

– يجب تصفية الصفوف من عند كل تحرك فبقاء المنحرفين فكريا خطر عظيم يظهر بمجرد القضاء على المشكل الأول وسبب التحرك وقد يكون تكون المشاكل المتولدة عن الأتباع المنحرفين أخطر من سبب تكتلهم وهذا ظهر عند العباسيين مع أتباعهم الذين حملوا معهم عقيدة الزندقة إلى قلب العالم الاسلامي.

– الدين مطية كل منحرف باحث عن غرض دنيوي، وهذا ما ظهر في أكثر الحركات السياسية المناهضة للعباسيين، فيجب عدم السماح بالخوض فيه من طرف المبتدعة والجهلة واستغلاله لأغراض دنيوية، وضبط الهيئات الممثلة له وذلك ما يمنع التلاعب ويحفظ وحدة الامة الدينية ويزيد من وحدتها وقوتها، ومثال ذلك الشيعة اليوم فبالرغم من انحرافاتهم العظيمة فإنّ وحدة مرجعياتهم ضمنت وحدتهم السياسية وجعلت منهم قوى بارزة.

– العقائد المنحرفة البيّن زيغها يجب القضاء عليها في مهدها بكل السبل الممكنة لأنّ استمرارها سيجر الويلات على الأمة ولنا في القرامطة وأفعالهم أبرز مثال.